مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 11 ع 03. 16/ 06/ 2022
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

مشكلة الأخلاق في الوجود العبثي عند ألبير كامو

The Issue of Morality in the Absurdist Existence of Albert Camus

عوداش فتيحة* Aoudache Fatiha aoudachefatiha83@gmail.com	فلسفة	جامعة الجزائر 2 بوزريعة
أ.د.علاوشيش أمال Alaouchiche Amel Angelguarde1972@gmail.com	الفلسفة	جامعة الجزائر 2 بوزريعة

DOI : 10.46315/1714-011-003-009

الإرسال: 07/ 02/ 2021 **القبول**: 22/ 05/ 2021 **النشر**: 16/ 06/ 2022

ملخص:

تعد الأخلاق أساس تطور المجتمع وتحضره، فبدونها تصبح الحياة البشرية بلا قيمة، ووجود الإنسان لا يتحقق في جوهره الإنساني إلا من خلال صورته الأخلاقية، فهو الكائن الوحيد الذي يسعى إلي تجسيد القيم الأخلاقية، لكن التطور العلمي والتكنولوجي وسيطرة التقنية والحروب المدمرة اثر سلبا على تدهور الأخلاق في العصر المعاصر، الأمر الذي دفع المفكرين والفلاسفة أمثال"**البيركامو**" إلي البحث في أسباب هذا التراجع في القيم الأخلاقية في المجتمع انطلاقا من كتاباته.

كلمات مفتاحية: الوجود؛ الأخلاق؛ العبث؛ الاغتراب.

Abstract:

Moralityis the foundation upon which the development and civilization of a society are based. Without it, human life is rendered worthless; the existence of man is never fulfilled in its human essence without man's moral concept. Man is the only creature that strives to implement moral values. Scientific and technological advancements, the dominance of technology, as well as destructive warfare, all caused the decline of morality in this modern age. This had led thinkers and philosophers like 'Albert Camus' to explore the reasons behind this moral decline in societies through his writings.

Keywords: Existence; Morality; Absurdism ; Alienation.

***- مقدمة:**

إن ما تشهده الإنسانية من تراجع القيم من خلال تفكك وحلول قيم جديدة امتازت بالعنف والحرمان والحقد، أدت بتناقضاتها إلي خلق شعور بالإحباط وإحساس بالاغتراب وفقدان الثقة والأمل في مستقبل جديد، فطغى على الحياة الروتين والطابع الآلي الذي أسهم بدوره في قتل روح المبادرة والإبداع والحيوية وانتشار أنظمة استبدادية استعمارية عملت على نشر الظلم والاستغلال من اجل المصلحة الخاصة، وهذا الوضع بجميع إرهاصاته دفع بالفلاسفة والمفكرين

* - الباحث المُرسل: aoudachefatiha83@gmail.com

أمثال" "البير كامو" إلي البحث في المجتمع وأحواله والإنسان وانشغالاته وأسباب معاناته وتذمره من الحياة وتعقيداتها، والبحث عن أسباب التناقض والتصادم في المجتمع، والعبث في الوجود، ومن هنا نطرح الاستشكال حول موقف "البير كامو "من المفارقات الأخلاقية هذه، وكيفية إحلال الإنساني في الوجود العبثي المطلق؟

أولا-الخلفية الاجتماعية والفكرية لألبيركامو:

"اعرف أن منشئي يكمن في الظهر والوجه، في هذا العالم من الفقر والضياع الذي عشت فيه طويلا". هكذا يصف البير كامو(1913-1960) منشئه وطفولته حيث كان الفقر والمرض - مرض السل-عاملين أساسين أسهما في شعوره بالاغتراب ووعيه بالموت.(Camus,1985,p11).

لقد ترعرع في عصر الصراعات والتناقضات الفكرية والوجودية، انفصلت فيه السياسة عن الأخلاق، والقيم عن المجتمع، والفكر عن الحياة، عصر سادته عدمية مطلقة أمنت بموت القيم التي تعتبر بمثابة الوسيط بين الله والإنسان. (كروكشانك، 1986، ص 7).

وقد ترجم إحساسه بالاغتراب وشعوره بالقلق والتوتر إلي كتابات واقعية تجسد صورة نمطية عن الإنسان الضائع في الوجود العبثي وهو يصارع من اجل بناء القيم والمبادئ الإنسانية، فكانت لهذه الظروف والمؤثرات أثرها الأكبر فيما كتب، فجعلت منه كاتبا وفيلسوفا وناقدا وجوديا من خلال كتبه القيمة التي تفسر حياة الإنسان في هذا الوجود ومصيره مثل **رواية الغريب**(1942) **وأسطورة سيزيف**(1942)**ورواية الطاعون**(1947)**والإنسان المتمرد**(1951) **والمنفي والملكوت**(1957).وغيرها من الأعمال الأدبية والفلسفية..

ثانيا-الأخلاق والعبث مقاربة وجودية:

الأخلاق لغة لفظ يدل على معاني عدة فهو السجية أو ما خلق عليه من طبع.

(الحيدري، 2004، ص30.)

واصطلاحا هو حال للنفس به يفعل الإنسان أفعاله بلا روية واختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعض الناس لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، وقد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمد..(بن عدي، 1985، ص47.)

وتعرف أيضا بأنها القواعد التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان لبلوغ كامل إنسانيته في ضوء مثل أعلى يصبو إليه، ومعنى ذلك أن علم الأخلاق علم معياري لا يبحث في حياة الإنسان الواقعية ويصف ما هو كائن بالفعل، بل هو علم يضع ما ينبغي أن يكون. (رشوان، 1999، ص21.)

لكن ماذا تعني الأخلاق في الفلسفة الوجودية عموما وعند "البير كامو "خصوصا؟

الإنسان في الفلسفة الوجودية هو مجموع أفعاله وتصرفاته تحكمها المسؤولية وتوجهها حرية الاختيارحتى أنها تحرره من جميع القيود بما فيها الاجتماعية وفق قيم لا تحددها معاير خارجية مطلقة وثابتة، بل تتوقف على ما تمليه الظروف وما تختاره ذاتية الفرد وشخصيته، خاضعة للتطور من خلال ممارسة الإنسان لحريته. (علي، 2010، ص235).

فالإنسان يختار أخلاقه، بمعنى انه يختار سلوكه وقيمه وغاياته ووسائله. وقد يختار النقيض وهذا سبيل لتجاوز نقص كينونته وقصور وجوده عن طريق العلم والفن وغيرها.(جود، 1981، ص157).

والسبيل إلي إبراز القيمة الأخلاقية لا تظهر إلا من خلال الفعل الحر، وهذا ما جعل "جون بول سارتر"(1905-1980)يرى أن ينبوع القيمة الوحيدة هو الوجود الإنساني والإنسان الفاعل والحر المدرك عن طريق إحساسه وشعوره بالمظاهر والأشياء بعد إدراكه بوجوده في هذا العالم.(سارتر، د.ت، ص41).

1-كامو وعبث الوجود:

لقد وجد مفهوم العبثية في أعمال "البيركامو" تجليا له، تجليا لذات الإنسانية والحياة الداخلية للفرد ذات الطابع الشخصي له لا باعتبارها ذات تعيش في مجموع بل باعتبارها ذات فردية تفتقر للمحتوى الاجتماعي، معاناة دائمة لا تنقطع، تخلو من الأهداف والغايات ومن المعنى الاجتماعي، وهذا ما شكل فلسفة العبث عنده وعند من جاء بعده وشكل محور فلسفته عموما التي تطورت في أحضان النزعة الإنسانية الفردية المبنية على اللامعنى للمجهود الإنساني الفردي.ومما زاد من إيمانه بالعبثية انتصارات النازية الألمانية والسنوات الأكثر درامية في الحرب العالمية الثانية التي جعلت من الحياة الإنسانية والمجتمع عبثية لا متناهية تمثلها أسطورة سيزيف، حيث دخلت عبثية الوجود الحياة الإنسانية وغدت طبيعة حقة وشكلت جوهر الذات.

والعبث عند "كامو"مبدأ يقاس الواقع ويقاس به الإنسان، لأنه يمثل جميع مقولات الوجود الإنساني التي تقوده إلي الحقائق: الحياة عبثية، الحرية عبثية، الانتحار عبثي. ولذلك يصبح أساس الواقع في حد ذاته عبثي وبالتالي لا عقلاني.

وهكذا يندمج الإنسان العبثي والواقع العبثي عندما يطرح كامو السؤال: هل هناك ما يستحق العيش؟ وهنا تقتحم مشكلات الانتحار الإجابة على السؤال فتكون مقدمة للعبثية الوجود الإنساني.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

2-الانتحاروالعبث الوجودي: أية علاقة؟

العبث اصطلاحا هو ذلك الشعور باللاجدوي واللاطائل وامتناع الخلاص، وفقدان القدرة والحرية والإرادة أمام حتميات الطبيعة والحياة، والتاريخ والحضارة، وان اللغة فاقدة القدرة على التعبير، فهي عبث لغوي، أو تعبيري، إنها نوع من الإحساس بعدمية الوجود القائم، وهلاك الزمن، وانه رحم يلد الأحياء ليغذي بهم حوت الموت وتنينه، أنها افتقاد كلي للرجاء والعزاء، العبثية هي التحقق من لا عقلانية العالم. (الحاوي، 1986، ص38).

وهو غياب التواصل بين حاجة الذهن إلي التماسك وبين فوضى العالم التي يعانيها الذهن والجواب الواضح يكون إما الانتحار أو على النقيض من ذلك طفرة اليقين. (هنجلف، 1979، ص47).

وكلمة العبث تعني كل ما يتعارض مع قوانين المنطق، فالفكرة المحالة هي فكرة لا سبيل إلي التوفيق بين عناصرها، والحكم المحال هو الحكم الذي يتضمن غلطا ينتهي له بالضرورة إلي نتيجة باطلة ويكشف عن الفساد في بنائه الصوري (مكاوي، 1964، ص20.).

فالعبث إذن يتولد من الصراع القائم بين الإنسان والعالم أي بين رغبته في العيش في طمأنينة وسعادة وحرية، وبين عدم استجابة العالم لهذا النداء. ويعتبر **ألبير كامو** من الفلاسفة الذين أسهموا بكتاباتهم الفلسفية والأدبية في تبرير العبث واللامعقول في الوجود البشري، ويتجلي هذا من خلال تجربته في الحياة .

حيث يغيب على الإنسان وهو في خضم العبث إدراك انه جزء من العبث ذاته. ويعترف "كامو" بوجود صلة مباشرة بين الإحساس بالعبث والحنين للموت، حيث انه يكشف وعيه الزائف عوض الوعي الذاتي يدفعه إلي البحث عن سبيل للخروج من عبثية الوجود فيتحول نضاله وكفاحه على عدم قد يتراءى له انه حل له. وهو حل كثير ما يلجا إليه الفرد الذي يعيش الواقع العبثي للمجتمع البرجوازي الرأسمالي وهو وعي زائف لحياة لا معنى لها سيتبع لا معنى لمقولات عدة كاختيار والحرية والمسؤولية والكرامة الفردية مقابل العدم الذي يبرر الانتحار الفاقد للمعنى.

3-العدم:

ترتبط الأخلاق عند "كامو" بالعدم الذي هو نفي الموجود وهو محتجب في قلب الموجود، ويأتي القلق بدوره ليظهره ويبرزه إلي السطح عندما يعاني الإنسان عبثية الوجود ولا معناه، وهذا ما وضحه "**كامو**" في رواية "**الغريب** "التي يصور فيها العبث الذي يعانيه الإنسان الذي يولد المأساة، فالإنسان منفي غريب بين البشر، مجبر علي التعامل معهم والخضوع لقوانينهم، من عجزهم عن

إيجاد حل مقنع لذلك، فالغريب عند **"كامو"**هو الإنسان العدمي القلق العاجز عن مجاراة مجتمعه وقوانينه، ثائر فيه علي العدالة الإلهية والبشرية معا، ولا سيما في لحظة مواجهته للموت، يرفض تعاليم الكنيسة وموعظة الكاهن .(إدريس، 2017، ص82)

نستنتج من هذا أن بطل "مرسول" حاول تجسيد الوجود الحقيقي للإنسان في الوقت الذي غابت فيه الإنسانية بسبب الحروب والأنظمة الاستبدادية التي قمعت البشرية وجعلتها تعيش وفق تعاليمها وقوانينها الدكتاتورية، لكنه لم يتوصل إلى تحقيق ذلك. فهو في هذه الحالة يشمئز من وضعه في الوجود العبثي الذي طغي عليه الروتين والآلية واللامبالاة، فهذا الوضع دفعه للهروب من هذا العالم إلي عالم مفارق للعالم الذي يعيش فيه مع مجتمعه، إلى عالم يصنعه لنفسه ليعيش عزلته ويغترب عن مجتمعه الذي افسد تربيته والذي لم يبال به ولم يشعر بوجوده بعدما أصبح عديم المنفعة.

وعليه فخيبة الأمل التي يعاني منها البطل **"مرسول"** في الوجود العبثي تجسدت أكثر عند تلقيه خبر وفاة أمه بكل برودة الأعصاب واللامبالاة: "اليوم ماتت والدتي، أو قد تكون ماتت بالأمس، لست أدري، لقد توصلت بتلغراف من دار الشيخوخة كتب فيه: "الأم توفيت، الدفن غدا، تقبل عواطفي."(كامو، 2016، ص 14) .

وتظهر العدمية بصورة واضحة في مسرحية **"كاليجولا"** التي تدل علي العدم المطلق، إذ يقلب بطل المسرحية القيم علي رأسا علي عقب ظنا منه انه يمارس حريته المطلقة المجنونة، وينكر الإله والبشر، وجميع العواطف الإنسانية والقيم الأخلاقية، وينكر الحب والصداقة، الخير والشر، والآخرين...ويسعي إلي تهديم ونفي كل شيء إلا انه لم يصل إلي ذلك إلا بنفي ذاته أولا، فعدميته تظهر عندما يواجه عبث الوجود بعبث أقوى منه فيقاومه بانتهاك كافة القيم المقدسة التي وضعها برأيه المشرعون البلهاء، فيسير بجنون نحو المستقبل، الذي يمثل الخلود.(إدريس، 2017، ص81).

نلاحظ أن "كامو "اختار لمسرحيته حاكم مطلق ليشرع القوانين، وهو الذي يخرقها ويبدل فيها كما تهوى نفسه وغالبا ما يزدريها، متباهيا بأنه لم يتوقف قط عن تعليم قومه دروسا في الحرية، لكنه في النهاية لم يتوصل إلي شيء، لدرجة انه اخذ يقتنع بان الحياة مقبض ريح لا مغزى لها، حيث تستولي على البطل نظرة تشاؤمية عن الحياة بكل تلاوينها، فيتساوى عنده الموت والحياة، العدل والظلم، القليل والكثير، الحزن والفرح، الإنسان والحيوان وتصبح الحياة غير

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

جديرة ببذل أية جهود، فهذه الأمور، أدت إلي سيطرت الجسد والشهوات علي العقل وفقدان الأمل واليأس.(كامو، دت، ص ص9-10).

هذا البطل الذي رفض كل القيم الأخلاقية مهما كان نوعها والتي يعتقد أنها لا تصلح لمواجهة عبثية الحياة يرمز إلى شخصية "هتلر: "الذي حاول تدمير الإنسانية وخلق الرعب في المجتمعات من اجل زعامة العالم.

حيث يقول كاليجولا: أنا أعيش، أنا اقتل، إذن أنا امتلك عظمة مدمر، التي أمامها تصبح عظمة المبدع لا شيء يذكر، هذا ما تعنيه السعادة، الحرية المطلقة، الحقد على كل ما هو موجود على الأرض والدم ونشر الكراهية والعزلة المنقطعة النظير لإنسان يتمعن الحياة والأفراح لقاتل خارج القانون والمنطق قلبه لا يرحم ولا ينفك عن طحن حياة البشر، وحياتك أيضا ياسيزونيا، أريد أن انفرد في قيادة عصر العصور. (كامو، دت، ص ص100-101).

وحسب "كاليجولا" لا يوجد في هذا الكون فرق بين الجريمة والفضيلة، بين الشر والخير، بين الجنون والعقل، بين الموت والحياة، نظرا لغياب القيم، فالعالم تسيطر عليه النزوات والهيولى، وهنا يكرس نفسه معلما وواعظا وداعية للحرية، لكن أية حرية، حريته فقط، مستخدما حريات الآخرين جميعا لتخدمها. (كامو، دت، ص 12).

وهذا ما نجده أيضا في أسطورة "سيزيف" أين صرح "كامو" بخلو العالم من الإله، وسقوط كافة القيم العليا المرتبطة بالعالم الإلهي التي تثير الإحساس بعبثية الوجود، وخواء العالم الأرضي، إذ يكشف عن خلو العالم من المعنى ولا جدوى القيم التي تسود الوجود، كما يتجلى في رفضه للسلطة الإلهية ولتعاليمها سواء أكانت ممثلة بالإله أم بالكنيسة وكهنتها، وهنا يظهر تأثره الواضح والشديد **"بنيشته"** في قوله بموت الإله، وانحطاط القيم وانتفاء أهميتها ودورها في الوجود، الأمر الذي يؤدي إلي الإحساس بالعبث، إذ يكشف الإنسان سخف الحياة التي يتعلق مصيره فيها بإله ميت غير موجود، وبقيم بالية لا أهمية لها(إدريس، 2017، ص80-81).

فالعدم إذن يكشف عن كل ما هو غير أصيل وزائف في حياة الإنسان، ويتركز بحثه حول تحليل زمنية الوجود، فهو يخترق كل المجالات في الوجود ويؤثر فيه وهو أساس العالم. (إدريس، 2017، ص82)

4-الاغتراب:

فالأخلاق العبثية إذن لا تتوقف عند العدم وإنما تتجاوزه إلي الاغتراب، ويظهر هذا في موقف البطل "مرسول" الذي فقد الشعور بالحزن لوفاة والدته، فهو لا يبال بوفاتها، لأنه تجرد

من مشاعره ومن القيم الأخلاقية، فهو لم يكترث ولم يهتم ولم يعط للوجود أو للحياة معناها الحقيقي، إنما يعيش علي هواه وما تمليه غرائزه ورغباته، فموت الأم الذي لم يزعزع كيان أي إنسان هو عبث بحد ذاته، وفقدان التواصل والتعايش بين الناس هو الدافع إلي الوقوع في مأزق الاغتراب والاستسلام للعزلة والإهمال، وصراع الفرد مع نفسه وعدم الإحساس بالأمان.

ويظهر الاغتراب بصورة واضحة عندما يتجاهل هذا الغريب الحديث عن حزنه الشديد لفقدان أمه، وعدم اهتمامه بمراسيم الدفن وذهابه إلي المسبح مع صديقته ماري التي يقوم بمداعبتها ومغازلتها حيث يقول: "صعدت إلي جانبها فوق العوامة، كان الجو جميلا، وتظاهرت بالمزاح، لما أملت راسي إلي الخلف ووضعته علي بطنها، لم تقل شيئا، فبقيت في تلك الوضعية، كانت الشمس تعم عيناي وكانت زرقاء ذهبية تحت رقبتي كنت أحس ببطن ماري ينبض برقة بقينا وقتا طويلا فوق العوامة، شبه نائمين، لما اشتدت حرارة الشمس، ألقت بنفسها في الماء، فتبعتها حتى أدركتها، وأحطتها بيدي، ورحنا نسبح معا، ولم تتوقف عن الضحك وهي علي الرصيف." (كامو، 2016، ص 24).

معنى ذلك أن الغريب شعر أن حياته قد طغى عليها اللامعقول وأدرك ذلك من خلال تلك الصور المبعثرة والمشوشة التي سجلها دماغه من خلال تعامله مع الأحداث، حاول التخلص والفرار من هذا الشعور العبثي الذي فرضته ظروف مختلفة وقاهرة خارج عن إراداته، بإيجاد عالم أخر يتنفس فيه ويعيش فيه حريته دون قيود العادات والتقاليد أي يجد عالما خاصا به يفعل فيه ما يريد دون حساب ولا عقاب.

ويظهر الاغتراب أكثر عندما يجمل "كامو "صفات المغترب، فيصفه ملقى في عالم غريب عنه، مفروض عليه قسرا، فيعاقبه على ذنب لم يكن يقترفه، فبراءة بطل هذه الرواية هي بمثابة ذنبه على جرم لم يتعمد القيام به، فتاتي محاكمته عبثية على ذنوب لم يعتقد كامو أنها تستحق العقاب، هذه الذنوب هي العادات والتقاليد التي فرضها المجتمع، ولم يبال بها الإنسان، فعوقب هذا البطل علي تدخينه السجائر عند رؤية جثمان أمه وعدم بكائه وحزنه أثناء دفن أمه، فكان غريبا عن مراسيم أيام الآحاد بموقفه السلبي الذي يتضمن مشاهدة السينما والنزهات والرياضة غريب في موقفه المتردد إزاء الحب والزواج، وغريب عن الطموح الذي يقدمه له مدير عمله للترقية فكان لا مباليا بشيء لا يعرف الحب ولا الندم وحتى ابسط الانفعالات الإنسانية.(إدريس، 2017، ص 93).

وعليه "فكامو" في هذه الرواية يصور لنا حالة الإنسان المنعزل عن العالم وكأنه سجين في داخله، يعاني حالة الأسر الاجتماعي لأنه غير قادر على فهم المجتمع أو مجاراة عادته، فهو يعيش مع الآخرين ولكنه غريب عنهم أيضا، فتظهر الأحداث أمامه وكأنها غريبة عنه، ليس لها معنى أو هدف. (إدريس، 2017، ص92)

ومنه فالحياة التي يعيشها الإنسان في نظره تشبه مشاهد المسرح التي تتهدم، النهوض والباص وأربع ساعات في الدائرة أو المصنع ووجبة الطعام والنوم والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت طبقا للنسق نفسه-من الممكن السير في هذه الطريق بسهولة دائما .(كامو، 1983، ص 21).

فهذه العبثية التي تصادف الإنسان في حياته اليومية من خلال ممارسته لأعماله قد تبعث فيه روح التشاؤم والخوف من المصير، أكثر من ذلك الشعور بالاغتراب والهروب من ممارسة حريته بصورة معقولة، وهذا هو السبب الأخر الذي أسهم في بلورة وجودا زائفا وحياة زائفة.

ويرى "كامو" أن اصطدام الإنسان بقيم المجتمع يدفعه إلي الإحساس أكثر فأكثر بعبثية الوجود ولا معقوليته، وهذا يقارب ما أبرزه سارتر في مؤلفاته وبصورة خاصة (الغثيان)عندما يصور إحساس بالغربة في عالم وجد فيه بدون إرادته، فيبدو الإنسان في مواجهة العالم، يعارضه ويثور عليه، كأنه في طبيعة مغايرة لطبيعة الأشياء فيه، ينكر القيم السائدة حتى ليشعر انه غريب عنه. (إدريس، 2017، ص94).

معناه أن الوجود العبثي هو الذي يدفع بالإنسان إلى الانطواء والعزلة والاغتراب بسبب الاضطهاد واللامبالاة وغياب التواصل والتعايش مع مجتمعه، فالعبث إذن موجود فينا وهو ناتج عن الروتين والآلية في أعمالنا اليومية، وهو ما خلق فينا الشعور بالملل والقلق والنفور من الحياة التي فقدت معناها، خاصة بعد الحروب العالمية التي كانت كالصاعقة على الحياة البشرية وحولتها إلي حياة عبثية تشعر بالغثيان.

فرواية "الغريب" ما هي في الحقيقة إلا صورة لواقع الأخلاق الممزقة التي كان بطلها "مرسول" الذي جسد صورة الإنسان الذي يعيش في مجتمع طغت عليه الأنانية والحقد ولا يبالي بالآخر ولا يهتم لمعاناته، فهذا الواقع الذي جسده هذا البطل إنما هو في الحقيقة واقع البشرية الممزق في الوجود اللامعقول، هذا الوجود الذي جعل حياة الإنسان بلا معنى، لفقدانها للتواصل وروح الانسجام، أكثر من ذلك فقدانها للقيم والمبادئ الإنسانية التي هي أساس في التقارب بين المجتمعات وهذا ما أدى إلي انهيار الأخلاق من خلال انتشار مظاهر البيروقراطية والاستبداد.

نلاحظ أيضا أن "كامو" يصور لنا وضعية الإنسان في الوجود العبثي من خلال بطل "سيزيف" الذي يصارع من اجل رفع الصخرة إلي أعلى الجبل إلا أن هذه الصخرة تتدحرج مرة أخرى إلي الأسفل ولكن البطل لم يفشل بل جدد أمله وأعاد رفعها مرة أخرى إلي أعلى الجبل، فهذا العمل الذي يقوم به البطل ما هو في الحقيقة إلا صورة حقيقية عن وجود الإنسان وهو يسعي للتغلب علي الروتين بالرغم من وجود العراقيل والحواجز التي تعيق بلوغ الحياة المثالية والسامية والتخلص من الملل والتذمر من جهة ومن جهة أخرى يصور لنا مدى تعسف القوانين لمعاقبة هذا البطل أثناء ممارسة عمله الشاق.

ويرى "كامو" أن الأسباب التي تؤدي إلي تعميق وزيادة اغتراب عند بعضهم، اللغة، التي يستخدما الناس للتواصل فيما بينهم، والتي تكون في معظم الأحيان مستعصية علي الفهم، وقد تؤدي إلي غير مؤداها غالبا، فيتباعد الناس عن بعضهم بدلا من تواصلهم، وربما ينقلب عجز الكلمات وعدم قدرتها علي إيصال المعنى المقصود منها إلي خناجر موجهة إلي قلب البشر وحياتهم فتزيدهم عزلة، فكلما كانت اللغة متداخلة وغربية كلما كان العالم لا معقولا لهذا يعيب كامو علي البشر استخدامهم لغة معقدة للتواصل، ووجوب اعتماد الكلمات البسيطة بدلا منها. (خليل، 1977، ص85-86)

فاللغة تفقد معناها ودورها في عالم مفكك لا معقول، فهي كالمرآة تعكس عبثية العالم ولا جدواه، وهذه الغربة التي يستشعره الإنسان في غربته عن الآخرين، تنعكس داخله، فيبدأ بالإحساس بغربته عن ذاته وعجزه عن فهمها أو استيعابها وتقبلها، فيغدو كالتائه، لا يحدد ذاته من هو. (ادريس، 2017، ص96).

5-التمرد:

إن النزعة الانسانية عند كامو، تتمثل في استرجاع القيم السامية التي اثبتها الوعي الانساني، وفي تاكيد الحقيقة التي مفادها ان الانسان رغم انه ينتمي للتاريخ الا انه يتجاوزه بواسطة فكره، ويسعي الي المطلق الذي يقع خارج التاريخ..(ايفرار، 2014، ص189).

وهذا في نظره لا يتحقق الا بالتمرد والثورة علي القيم والعادات البالية، وحتى علي القوى الاستبدادية والمؤسسات الراسمالية الطاغية التي كانت تعيق حرية البشرية في العيش في الطمأنية والامن.

وعليه فالتمرد إذن هو وسيلة للتحرر من كل القيود والقيم الأخلاقية التي تسيطر على عقل الإنسان وتقيده، حيث يقول كامو: "إن حركة التمرد ليست في جوهرها حركة أنانية قد يكون لديها ولا شك مقاصد إلي ذلك، إن المتمرد اعتبارا من هذه المقاصد وفي توثبه الصميمي لا يصون شيئا، لأنه يغامر

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

بكل شيء، لا جرم انه يطالب بالاحترام من اجل ذاته، ولكنه بمقدار ما يتوحد ذاتيا مع جماعة طبيعية. (كامو، 1973ص115).

فالإنسان المتحرر من كل القيود، يتقبل رغبته في سعادة، وفي الحياة رغم اعترافه بعبثية مصيره، وذلك برفض سجن التاريخ، وتخليه عن أوهام الخلاص الخادعة، فالحكمة تقتضي تبرير الوجود بالإدراك، والتمرد، والعدالة، وهي الأمور التي تعطي للحياة معنى، والحكمة تقتضي أيضا، المطالبة بالانتماء الفطري والحسي للأرض، وإعادة ربط علاقة حقيقية مع الطبيعة، وجمال العالم الذي غالبا ما يغيبه الفكر التاريخي..(ايفرار، 2014، ص132).

ويتجسد هذا الموقف في تضامن سكان مدينة وهران لمواجهة الطاعون الذي أصبح قضيتهم جميعا، إلي هذا الحد، وبالرغم من المفاجأة والقلق الذي حملته الأحداث لهم، وان كل مواطن من مواطنيهم يتابع أشغاله كما يستطيع كالمعتاد، وبلا شك كان مفروضا أن يستمر هذا ولكن بمجرد أن أغلقت الأبواب، أدرك الناس أنهم جميعا بمن فيهم الراوي نفسه قد أصبحوا متساوين، وعليهم تدبير أمرهم هكذا، مثلا أصبح الشعور الفردي كشعور الانفصال عن كائن عزيزا فجأة منذ الأسابيع الأولي، مثل شعور شعب بكامله، بالخوف والألم الذي يحمله زمن العزل الطويل.(كامو، 2014، ص71).

فالتمرد عند "كامو"ينطوي بالضرورة على هجوم علي مبادئ الأخلاق التقليدية، غير أن التمرد سيوجه هذا الهجوم من اجل قواعد أخلاقية اسمي وارفع تخلو من الحب الصريح للذات، وان الهدف من وراء التمرد الميتافيزيقي في جوهره هدف روحي مهما اجتهد كامي في وضعه بأسلوب منطقي، وهو يتصف بالروحية مثلما اتصفت تعاليم اليونان بتلك الصفات عندما رأت أن الروح الإنساني هو معيار كل شيء. (كروكشانك، دت، ص148).

وعليه فصورة"كامو" المحب للحياة، النساء، والحفلات، وعناصر الطبيعة، والمطالب بفن الحياة، والاستمتاع باللحظة الانية، لا تتعارض مع صورة الاخلاقي المتشدد المهموم بمشاكل عصره، واسئلته الحارقة.(ايفرار، 2014، ص189).

نستنتج من كل هذا أن "كامو" في بداية أعماله كان همه الوحيد هو إبراز الأخلاق العبثية على المستوي الفردي خاصة في أسطورة "سيزيف "ورواية "الغريب" ولكن في رواية الطاعون تحول اهتمامه نحو الجماعة أي من الأنا إلى النحن، من الفردية إلى التضامن، ومن التمرد المحال إلى التمرد الحقيقي المعتدل. هذا الانتقال لا يحدث إلا في الوعي والوجدان، وبذلك يتسع مجال الفكر من أسطورة "سيزيف" إلى"التمرد"، ومن مشكلة الانتحار إلي مشكلة القتل الجمعي، ومن أخلاق الكم إلي أخلاق الكيف، ومن نزعة عدمية شاملة شعارها هو كل شيء أولا شيء إلي نزعة تؤمن بالحد والمقياس، ومن تمرد طائش محال إلي أخر معتدل وفي منبعه الأصيل. (مكاوي، 1964، ص106).

6-الأخلاق الإنسانية والقيم:

إن الإنسان في ظل هذه السيطرة المادية التي غابت عنها الروح والقيم والإنسانية، جعلته لا يستطيع أن يصل إلي تحقيق أهدافه لأنه لا يملك الحرية في ذلك، فهو يفضل الاغتراب ليتجنب الصراع مع المجتمع بصفة خاصة ومع الوجود بصفة عامة، حيث شعر بأن المجتمع قد ألحق به الضرر عندما مارس عليه العبودية والاستغلال وفي نفس الوقت أقدم علي معاتبته ولومه علي نتائج أفعاله التي لم تصدر بإرادته الحرة بل كانت مصدر تلك القوانين التعسفية والمستبدة والتي كانت تعامله كمعاملتها للأشياء، بالتالي جردته من إنسانيته.

وهذا ما قامت به الرأسمالية عندما حاولت نزع إنسانية الإنسان، فهي لم تساعد الفرد على أن يحقق نوعا من الوحدة مع عالمه الجديد دون أن يفقد ذاته وتفرده، بل قد مزقت الروابط التي كانت تربطه بالأفراد الآخرين، فأصبحت علاقته بالآخرين ومنافسيه في السوق، وفي المجتمع بشكل عام علاقة قوى معادية ومغتربة. (عباس، 2008، ص 377).

وعليه فالمعنى السلبي هو أن الحضارة والمجتمع قد سلبا الإنسان ذاته وبراءته التي كان يتمتع بهما في الحالة الطبيعية الأولى وتحول إلى عبد للمؤسسات الاجتماعية، إذ يرى أن الإنسان ولد حرا، وكان في حالته الطبيعية الأولى خاليا من الشوائب والعاهات والآثام، وتجسدت في هذه الحالة أصفى صورة لمراحل حياته، ولكن هذه الحالة مستقرة بسبب الاختلاف الذي كان سائدا بين الناس التي ولدت خلافات، لعل أهم أسبابها غياب المجتمع والقانون، لهذا اتفق البشر علي تكوين العقد الاجتماعي الذي يسلم فيه الفرد ذاته وحريته للمجتمع، وهذا ما يشعره بالاغتراب، ولعل ما يقصده روسو بالمعنى الايجابي والطوعي للاغتراب هو تسليم الفرد ذاته لصالح الجماعة، أما المعنى السلبي أو القسري للاغتراب فيتجلى في العبودية السرية حيث يتحول الإنسان إلي عبد خاضع للمجتمع(عباس، 2008، ص ص28-29)

وعليه فالتطور المادي والحضاري قد أسهم في اغتراب الإنسان عن نفسه وعن مجتمعه، وعمل على تحطيم القيم والأخلاق التي تغذي الإنسان وتسمو به، وتبعث فيه روح التعاون والإحساس بالأخر والتألم لتألمه، وتجعله كائنا بشريا حقيقيا، وللخروج من هذا المأزق وجب على كل واحد العمل على تطوير الوجود الاجتماعي والسياسي والثقافي بنشر القيم والمبادئ الإنسانية التي ترفع بالإنسانية إلي الوجود المعقول، بل يجب أيضا الكشف عن العالم الداخلي للإنسان لتجاوز الحياة العبثية التي أسهمت في تراجع الأخلاق.

ومنه فالمجتمع الصناعي المعاصر يستطيع أن يسيطر دون أن يظهر بمظهر السيطرة. وينتهي به الأمر إلى أن يحدد من تطلعات البشر ويملي عليهم مواقفهم، وهو يوهمهم بأنهم هم من يحددها، وأن استلابهم ليزداد بقدر ما يفقدون القدرة علي نقد الحاجات والأهداف التي غرسها فيهم النظام. وعلى رفضها، والحال، إذ يبلغ الإنسان هذه المرحلة من الترويض، يقوم من تلقاء نفسه بالرقابة الاجتماعية التي غرست في صميم حاجاته وتصرفاته. (عباس، 2004، ص521)

وهذا ما حاول" كامو" تبريره بخصوص تراجع القيم والأخلاق، والسبب في ذلك هو السلطة المزيفة والحكام الذين يزعمون في البداية بأنهم جاءوا لخدمة المجتمع وإصلاحه والرقي به، وهم في الحقيقة جاءوا لقمع الحريات وقتل روح الإنسانية في الإنسان وجعله شبيها بالآلة لخدمة مصالحهم بإتباع وسائل الدعاية والإشهار باستخدام لغة التحضر والتقدم.

وعليه فالحرية التي ينادي بها المجتمع الصناعي، هي حرية وهمية وعبودية، تجعل الإنسان يمارس أعماله ومهامه بدون وعي ولا إرادة، وهذا سبب من أسباب العبثية، فالحرية المنظمة من قبل مجموع اضطهادي، يمكن أن يصبح أداة سيطرة قوية، فالحرية الإنسانية لا تقاس تبعا للاختيار المتاح للفرد وإنما العامل الحاسم الوحيد في تحديدها هو ما يستطيع الفرد اختياره. (ماركيوز، 1988، ص 43).

نستنتج من هذا أن تحقيق العدالة في الوجود الإنساني كانت شبه منعدمة، بسبب تفشي ظاهرة الرشوة والبيروقراطية، فالمتهم لا يحق له تبرئة نفسه من التهم التي توجه إليه في الوجود العبثي، فالظلم الاجتماعي المنتشر والذي تمارسه الطبقات البرجوازية والديكتاتورية في المجتمع من خلال المؤسسات والأطر المختلفة جعلت الأخلاق تتدهور من خلال نشرها لشعارات تدعو إلي التفتح علي الأخر والتحرر من التقاليد والعادات التي في نظرها عائق أمام التطور والحضارة، وهذا سبب من أسباب تلاشي القيم والمبادئ الإنسانية، وهو ما جعل البشرية تفقد إنسانيتها.

وعليه في نظر"كامو" لا يمكن أن تكون هنالك مسالة التقدم الأخلاقي، لقد رأيت أناس يتصرفون تصرفا سيئا وهم يحملون أخلاقية عظيمة، وإنني ألاحظ في كل يوم أن الأمانة لا تحتاج إلى أية قواعد أو قوانين، هنالك شريعة أخلاقية واحدة فقط يمكن أن يقبلها الإنسان اللامجدي تلك التي لا تنفصل عن الله: تلك المفروضة فرضا. أما بالنسبة للأخلاقيات الأخرى فالإنسان اللامجدى لا يرى فيها شيئا غير التبريرات وليس لديه ما يبرره، إنني ابدأ هنا من مبدأ براءته. (كامو، 1983، ص80).

في هذا السياق يقول **كامو**: "هنالك حقيقة واضحة وهي أن الإنسان دائما ضحية حقائقه، فانه حين يقربها لا يستطيع أن يحرر نفسه منها، وعلى المرء أن يدفع شيئا، والإنسان الذي يكون مدركا للاجدوى يرتبط بها إلي الأبد، والإنسان الخالي من الأمل الذي يدرك انه كذلك لا يمت للمستقبل بصلة وهذا طبيعي، ولكن من الطبيعي أيضا أن يكافح ليتخلص من لا معقولية الكون. وليس لما ذكرته مغزى إلا بموجب هذا التعارض، ولقد أقر البعض بالجو اللامجدي مبتدئين بنقد المعقولية وليس هناك شيء أدل هنا من تفحص الطريقة التي توصلوا بها إلي نتائجهم. (كامو، 1983، ص ص40-41).

ومنه فالوجود العبثي الذي جسده **"كامو"** في كتاباته ما هو في الحقيقة إلا صورة للإنسان المعاصر المضطهد والمستبد، الذي يحاول أن يحقق حياة أفضل تعمها الحرية والرفاهية، إلا انه لم يستطيع لأنه فقد قدرته على التواصل والتعايش بسبب الاغتراب والعزلة التي يعيشها، وهذا ما يؤكده الواقع اليوم أين نجد إنسان يقتل أخاه الإنسان بلا رحمة ولا شفقة باستخدام الحروب البيولوجية، فهذه الفوضى

والعبثية لم تفرضها الطبيعة وإنما فرضتها المنظمات الوطنية والدولية من خلال استخدامها السلبي للعلم والتكنولوجيا وكان الإنسان ضحية لذلك.

خاتمة:

إن الحياة في الوجود العبثي تفتقر إلى القيم والمبادئ الإنسانية لهذا طغى عليها الروتين والملل، ومهما حاول الإنسان التخلص منه إلا انه يجد نفسه يستسلم له ويبقي يعيش فيه، فلا يوجد إنسان تخلو حياته من هذه العدمية، فكل البشر دون استثناء يعيشون في الرتابة والكآبة والعادة والقلق واليأس والخوف من الموت، فهذا التفكير في حد ذاته هو الذي يبعث في نفسيتهم الشعور بالاغتراب. وعندما يدرك الإنسان أن حياته ليس لها قيمة ولا أمل في عيشها في هذا الوجود العبثي يلجا إلى البحث عن طريق أخر للهروب من هذه اللامعقولية السائدة في العالم ويجد التمرد والثورة هو الحل المناسب لتخفيف عن النفس والتخلص من اللامبالاة والاكتئاب وكل المشاعر التي تعكر مزاجه.

وعليه فالصور التي رسمها "كامو" ما هي إلا تصوير للوجود العبثي الذي فقد معناه وانتشرت فيه صور اليأس والظلم والمأساة، أكثر من ذلك تدهور القيم الأخلاقية التي هي ركن من أركان استقامة الإنسان وتهذيبه، فتراجعها أسهم في خلق فجوة في المعاملات البشرية، حيث أصبح الإنسان خاصة في المجتمع الصناعي لا يحس بأخيه الإنسان ولا ينتبه لما يحتاجه من مساعدات رغم أن هذا الأخير يشقي ويتعب من أجله.

فهذا الإنسان الذي تكاد تدمره صنائعه وأعماله الفكرية والعلمية والتكنولوجية بالأخص بعد صنعه للسلاح النووي والكيميائي، يشهد اليوم بنفسه على نتائج أعماله وأفكاره التي استخدمها بطريقة سلبية لتدمير ذاته ووجوده، وقد خلق هذا العمل شعورا بالقلق والضياع والاغتراب، ولازال يحاصره إلى يومنا هذا. وهذا ما جسدته كتابات **"كامو"** والتي كانت رموزا أو صورا طبقا للأصل للواقع البشري خاصة عندما عالج مسالة الاغتراب، والإحساس بعدم الأمان ومصير الأخلاق في ذلك الجو المشحون بالعدمية واللامبالاة والذي تكاد تنعدم فيه الحياة، وعليه نقول إن للحياة معنى وقيمة وعلى الإنسان أن يعطي لها حقها في ذلك بمحاربة كل أشكال العبودية وإعادة بناء الأخلاق وتوعية البشرية بزرع الإرادة والوعي والعزيمة.

****

المصادروالمراجع:

1. البير كامو. (1983). أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسين. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
2. البير كامو. (2016). الغريب، ترجمة: محمد بوعلاق، مراجعة وتقديم: عبد الله لقديم. بجاية: دار تلانتيقيت للنشر.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

3. جون كروكشانك. (1986). البيركامو وأدب التمرد، ترجمة هلال العشري. القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

4. سوزان عبد الله إدريس. (2017). مشكلة الإنسان في فكر البير كامو. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

6. فيصل عباس. (2004). الإنسان المعاصر في التحليل النفسي الفرويدي. بيروت: دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر.

7. فيصل عباس. (2008). الاغتراب الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ط1. بيروت: دار المنهل اللبناني.

5. هربرت ماركيوز.(1988). الإنسان ذو البعد الأخر، ترجمة: جورج طرابيشي، ط3. بيروت: دار الأدب.

6.Albert camus.(1985).,l'envers et l'endroit. Paris : Gallimard.

7.يحي بن عدي.(1985). تهذيب الأخلاق، بيروت: دار الشروق.

8. كمال الحيدري.(2004)، مقدمة في علم الأخلاق، إيران: دار فراقد.

9. محمد مهران رشوان (1998). تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع عبده غريب.

10.حسينعلي.(2010).فلسفة الفنرؤية جديدة، بيروت. لبنان: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

11.البروفيسورس.ي.جود(1981). مدخل إلي الفلسفة المعاصرة، ترجمة: محمد شفيق شيا.

12. جون بول سارتر (دت). الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمان بدوي. بيروت: منشورات دار الأدب.

13.إيليا الحاوي(1986). يونسكو في مسرحياته، بيروت: دار الثقافة.

14.هنجلف أرنولدب(1979).للامعقول، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، بغداد: دار الرشيد للنشر. دار الرية للطباعة.

15. عبد الغفار مكاوي (1964). البير كامو، محاولة لدراسة فكره الفلسفي، مصر:دار المعارف.

16. البير كامو، كاليجولا (دت). ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني، دمشق: دار حوران للطباعة والترجمة والنشر.

17. .(فرانك ايفرار(2014).البير كامو، ترجمة الزهرة رميج، بيروت.

18. ألبير كامو (1973). الإنسان المتمرد، ترجمة، نهاد رضا، بيروت: منشورت عويدات.

19 ألبير كامو(2014). الطاعون، ترجمة مزيان، بجاية: دار تلانتيقيت للنشر والتوزيع.